اهل النقد منهم يقولون ان من اسس معملا توفرت فيه الاعمال وجرت على اتمها وكثرت فيه الاختراعات والتفنن وتابعاً اسس بيتاً تجارياً نجح فيه ليس في نظر المجتمع الانساني دون ذاك العالم الذي يحمل شهادته في السلم والادب بل هو فوقه . وما صح منذ نحو ثلاثين سنة للفرنسيس لا يصح لهم ان يتعاطوه اليوم والحياة الاجتماعية في تبدل مستمر والحضارة تصير من يوم الى يوم حضارة صناعية علمية . وقد قال جول سيمون احد فلاسفة الفرنسيس ينبغي ان نكون ابناء احرياء بهذا العصر كما قال العرب خلقوا اولادكم بغير اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم

الغناء المصري

الغناء صوت النفس وهو في كل أمة صورة آدابها وأخلاقها وعاداتها فبينا ترى الوحشيّ في مفازة تمشي الرياح بها حيرى مولهة وهو يتغنى بذكر الشمس والماء والشراب والعربيّ تحت القبة الزرقاء يتغنى بذكر البدر والليل والخيل اذا أنت بالحضري وهو آمن في سربه مطمئن في عقر داره لا يخشى زئير الاسد ولا يتطلب الغيث وقد احتفت به النواني والغيد ، والجواري والعبيد ، وهو يرتع في خمائل البساتين ، يتجرع كؤوس الهناء ، ويتغنى بذكر الجمال ، والتيه والدلال ، والرقيب والعذال ، والعتاب والوصال ، وترى الجنديّ يتغنى بذكر الحروب ، ويترنم باغاني الوغى ، ويطرب لوقع السيوف على السيوف ، كما يطرب الحضري لوقع الصنوج على الصنوج ، أو لدق الانامل على الأوتار والدفوف

والغناء قديم وجد مع النفس لان الانسان ما لبث لما أخذ بصره

جمال هذه الكائنات وجلال ذلك الخلق البديع أن تحركت عواطف نفسه فحركت عقيرته باصوات الغناء . ولقد بلغ الغناء العربي شأواً بعيداً فلم يكد يستقر الملك لبني العباس حتى قربوا أهل الشعر وأرباب الغناء . فكانت مجالسه عندهم تفاخر مجالس الحكمة والشعر . وكان للغناء بلابل تغرد فتطرب ، وتشدو فترقص . أقام الرشيد ببغداد قصرا على ضفاف دجلة فكان اذا أرقته الهموم يقصد ذلك القصر ويدعو اليه ابراهيم الموصلي ويضاء ذلك القصر البديع ويهب نسيم الليل حاملاً عطر الازهار فيندفع المغني يحرك الاوتار فترقص الاسماك في أمواه دجلة طرباً وتشاركه البلابل في التغريد . ومن لنا بمجلس من مجالس الأنس بالاندلس وقد ضربت علينا قبة من البلور ينحدر الماء من جانبيها وحولنا الخرد العين وبيننا مائدة القد تضم الى صدرها ابن الطرب وهو ئن من لمس أصابعها تارة ويتأوه آهة المتيم المعمود طوراً وهي تنشد :

مالذّلي شرب راح على رياض الاقاح لولا هضيم الوشاح
اذا أسى في الصباح أو في الأصيل أضحى يقول
ماللشمول لطمت خدي وللشمال
هبت فمال غصن إعتدال ضمه بردي
مما أباد القلوبا يمشي لنا مستريباً يالحظه رد ثوباً
وبالماه الشنيا برد غليل صب عليل
لايستميل فيه عن عهدي ولا يزال
في كل حال يرجو الوصال وهو في الصد

وإعجاب الناس في مصر بالغناء شديد وليس هذا الاعجاب لجمال

في الشعر الذي يتغنى به ولكنه لبراعة المغني في التوقيع وحذقه في الضرب على الأوتار فانه لا يلبث أحدهم ان يرفع صوته حتى تخال انه يدق على صنج فؤادك أو ينقر على اوتار قلبك

وأهل مصر وغيرهم في الطرب بغنائهم سواء لانه لا تزال فيه روح الغناء القديم الذي كان يتغنى به الكهنة في الهياكل والمعابد ولا يبعد ان تكون تلك الانغام أقرب الانغام الى النفس وأدناها من الجنان

ولقد يسأم المصري غناء الافرنج وهم يرفعون أصواتهم حتى تكاد تبلغ عنان السماء ثم يخفضونها حتى توشك ان تكون أخفى من دبيب النمل وهم بين هذا وذاك يلبسونها ثوب الرقة والخشونة فتكون وسطاً بين الصياح والنهيق . ولكنه لا يسأم الغناء المصري وهو يرفل في حلل تلك الانغام البديعة التي تأخذ بمجامع القلوب وتستهوي الافئدة قبل الاسماع

وليس المصريون أمة حرب فيتغنون بالشعر الحماسي الذي يستفز النفوس ويهيج العواطف ويحرك الشجاعة الكامنة في الافئدة ولسنا أمة بحارة فنتغنى بذكر الصرصر العاتية والبرق الخاطف والرعد القاصف والرياح العواصف ولسنا أمة عاملة نتغنى بذكر البخار والكهرباء والنار والماء بل نحن أمة مكسال آمنة مخلدة الى الراحة خيراتها كثيرة وأمواهها غزيرة ، نساؤنا طرب، وحياتنا لهو ولعب فلم لا نتغنى منشدين

يعيش ويعشق قلبي رق الدلال والتيه
سلطان زمانه حبي يأمر وينهى فيه

القاهرة محمد لطفي جمعة